



المنظومة الصحية وتحدي الأوبئة: دراسة مقارنة بين الطب الحديث والطب البديل (وباء كورونا نموذجا)

The Health System and the Challenge of Epidemics: A Comparative Study between Modern Medicine and Alternative Medicine (The Coronavirus Pandemic as a Model)

سمير حسنة	لخضر شكير
جامعة مولود معمري، تيزي وزو - الجزائر	جامعة مولود معمري، تيزي وزو - الجزائر
samir.hasna@ummoto.dz	lakhdashakir10@gmail.com

تاريخ القبول: 2024/11/ 16

تاريخ الاستلام: 2024/07/ 01

الملخص

تعالج هذه الورقة جدل الطب الحديث والطب البديل في مواجهة الأزمة الصحية الراهنة، المتمثلة في فيروس كورونا المستجد، وأيهما له الأولوية في الوقاية والعلاج من جهة، وأيهما أقل أضرارا وآثارا جانبية، وأيهما أقل كلفة ماديا وبشريا من جهة أخرى.

ودور هذه الورقة يتمثل في بيان مدلول كل من الطبيب المتنافسين: الحديث (الكيميائي) والطب البديل، وبيان إيجابيات وسلبيات كل من الطبين، ثم المقارنة بينهما في مجال مكافحة وباء كورونا، للوصول في النهاية إلى تدعيم أحد الطبين على الآخر، نظرا لما يحققه من نتائج، وإن لم تكن، فبالنظر إلى قلة الأخطار والآثار الجانبية السلبية الناتجة عن تطبيق أحد العلاجين.

الكلمات المفتاحية: منظومة صحية، طب حديث، طب بديل، كورونا المستجد، فلسفة الطب.

Abstract

This paper traits the problem of modern medicine and alternative medicine, in a confrontation the current healty crises, which is Covid- 19, and which one has priority in prevention and treatment, which one has less secondary effects, less cost either financial or humanly .

This paper seeks to illustrate the maening, the positives and cons of modern medicine and Altrnative medicine, and compare between them in a confrontation the disease, aiming to support one of the two medicines, according to positives results, or less secondary effects

Keywords: modern medicine; altrnative medicine; Covid- 19; Philosophy of medicine; prevention treatment



1. مقدمة :

امتاز القرن الواحد والعشرون بأنه قرن الأزمات المختلفة؛ السياسية، الاقتصادية، الثقافية، الصحية، البيئية ... وغيرها. وما كان أكثر تميزاً في هذا القرن إلى غاية العام المنصرم وهذا العام (2020-2021) هو انتشار وباء كورونا، والمعروف علمياً بـ (Covid-19). وقد حاولت الجهات الصحية المختلفة، ومنظمات الرعاية الصحية، وهيئات الطب العالمي، ومخابر البحث العلمي في ميدان الصيدلة، إيجاد الدواء الشافي والعلاج الكافي لهذا الوباء منذ انتشاره في الصين أواخر 2019، وقرّر بروتوكول صحي عالمي منذ تلك اللحظة، في محاولة للقضاء نهائياً على هذا الوباء، أو على الأقل التخفيف من حدته، ومن ثمّ التقليل من عدد ضحاياه.

تعالج هذه الورقة جدل الطب الحديث والطب البديل في مواجهة الأزمة الصحية الراهنة، المتمثلة في فيروس كورونا المستجد، وأيهما له الأولوية في الوقاية والعلاج من جهة، وأيهما أقل أضراراً وآثاراً جانبية، وأيهما أقل كلفة مادياً وبشرياً من جهة أخرى.

ودور هذه الورقة يتمثل في بيان مدلول كل من الطبين المتنافسين: الحديث (الكيميائي) والطب البديل، وبيان إيجابيات وسلبيات كلّ من الطبين، ثم المقارنة بينهما في مجال مكافحة وباء كورونا، للوصول في النهاية إلى تدعيم أحد الطبين على الآخر، نظراً لما يحققه من نتائج، وإن لم تكن، فبالنظر إلى قلة الأخطار والآثار الجانبية السلبية الناتجة عن تطبيق أحد العلاجين. ومن الأسئلة المطروحة هنا:

ما مفهوم كل من الطبين الحديث والطب البديل؟ هل العلاقة بين الطبين علاقة تناقض أم علاقة تكامل؟ لماذا اللجوء إلى الطب البديل طالما أن الطب الحديث طب قائم بذاته، وهو قائم على دراسات وأبحاث علمية تجريبية؟ ما هي منطلقات كلّ من الطب الحديث والطب البديل، وما هي أساسيات وأصول كل من هاذين النظامين؟ ما

هي إجابيات وسلبيات كلّ من الطّبين (الحديث/ والطب البديل)؟ إذا وقف الطب الحديث عاجزا أمام المرض، فما هو الملجأ؟ هل يُغني الطب البديل عن الطب الحديث، وأيهما أكثر فعالية؟ هل يمكن الدمج بينهما ضمن منظومة صحية متكاملة؟ ما هي ضمانات الوقاية والسلامة الصحية للفرد والمجتمع اليوم؟ وما هي الفاتورة التي يسددها كل من العلاجين، في المادة وفي الأرواح؟

2. مفاهيم ومصطلحات:

1.2 الطب الحديث:

1.1.2 تعريفه:

هو خلاصة تطوّر الطب على مراحل متعددة، وانتقاله من الطب التقليدي إلى الطب الحديث، الذي يعتمد على دراسة دقيقة ومناهج تعليمية حديثة وأدوات طبية متطورة. ولكنه ما زال يعود لبعض المراجع الموجودة عند الطب التقليدي في تصنيع بعض الأدوية.

2.1.2 أصول الطب الحديث وآفاته:

لا يستطيع أحد إنكار ما وصلت إليه الأبحاث الطبية الحديثة في القضاء على أمراض وأوبئة كثيرة كانت تُبِيد قطاعات واسعة من البشر في القرون القليلة الماضية، كما لا يُنكر أحد أن الثورة التكنولوجية التي دخلت ميدان الطب قد سهّلت كثيرا من أساليب الفحص والتحليل والاختبار، باستعمالها لآلات بالغة التطور والدقة والتعقيد، سواء في تحليلات الدم أو الكشف بالمحاليل والمركبات الكيماوية، أو الكشف بالأشعة والمناظر الرقمية، أو فيما يتعلق بتخطيط القلب والدماغ، وصولا إلى الكشف بالأشعة المقطعية والليزر والماسح الضوئي متعدد الأبعاد وغيرها. إلا أنّ هناك العديد من النقاط السوداء في الطب الحديث، بعضها معروف وبعضها غير معروف، نشير إلى بعضها في هذه الورقة:



يقوم الطب الحديث أساسا على مناهج علمية متخصصة، كعلم دراسة وظائف الأعضاء وعلم التشريح وعلم الجراحة وعلم الإنعاش وعلم الميكروبات والبكتيريا، وعلم زراعة الأعضاء وغيرها من العلوم؛ هذه العلوم تفرعت عنها علوم أخرى أكثر تدقيقا واختصاصا، كعلم الخلايا وعلم الأعصاب وعلم المورثات، والطب النووي. كما استقلت بعض العلوم ببنيتها العضوية، وظلت رافدا مهما للطب الحديث كعلوم الصيدلة وعلوم الترويض الطبي وعلوم التغذية وعلوم الطب الوقائي وعلم النفس العلاجي والسلوكي وغيرها.

وقد تطور الطب الحديث نتيجة تطور التفكير العلمي في العصر الحديث، وظهرت المناهج العلمية وتلاقح العلوم واستفادة بعضها من بعض إبان الثورة الصناعية في أوروبا. وقد اعتمد الطب في هذه المرحلة بشكل أساس على منهجيات الاستنباط واستقراء الحالات المرضية وتحليلها، والتوسع في البدائل العلاجية وضبطها علميا. (بشوط ، 2017) ومن مبادئ الب الحديث أذكر:

أ. المبدأ الميكانيكي :

من أكبر الأمور التي تعاب على الطب الحديث هو مبدؤه الميكانيكي؛ فهو مادي التوجه والتفكير والحل، ولكن البشر ليسوا جسدا وأعضاء فقط، ولكنهم روح وعقل ومشاعر وسلوك وحالات وظروف. فهذه النظرة الميكانيكية إلى الطب الحديث جعلته يتقدم كثيرا في أدوات الكشف ووسائل العلاج المتقدمة، لكنه تأخر كثيرا في تحقيق البدائل الاستشفائية المناسبة الأخرى، وعديمة الآثار الجانبية أو ذات تأثيرات سلبية قليلة. ورغم نزوع الطب الحديث مؤخرا إلى استخلاص الفيتامينات والبروتينات والمواد المسكنة والمخدرة والمحفزة من مصادر نباتات ومن عناصر الطبيعة، إلا أنه لم يتخذ خطوات جريئة في اتجاه تحقيق نوع من الاندماج والتكامل مع الطب البديل، والرقى به إلى مصاف الطب الحديث. (بشوط ، 2017)

ب. اعتماد العقاقير الكيماوية

العقاقير الكيماوية أو (الأدوية) هي مركبات كيماوية، لها القدرة على القيام بعملها داخل الجسم، وهو ما يسمى بالتأثير الفارماكولوجي (**Pharmacological effects**) وبطرق عدة؛ سواء عن طريق قتل البكتيريا أو إيقاف نشاطها أو التأثير على بعض الإنزيمات والهرمونات داخل الجسم أو زيادة مناعة الجسم أو خفض هذه المناعة ... والأدوية بوجه عام يمكن تقسيمها إلى عدة مجموعات دوائية تؤثر كل مجموعة على عضو معين من أعضاء الجسم أو تقوم بعمل معين من أعضاء الجسم ... مثل مجموعة المضادات الحيوية (**Antibiotics**) ومضادات الفطريات (**Antifungal**) ومسكنات الآلام ومضادات الروماتيزم وغيرها. (محمد السيد، 2007، الصفحات 29-30)

ومن أخطار استعمال العقاقير الكيماوية أن الإنسان قد يكون مريضا بمرض معين، الأمر الذي يجعله يتناول الدواء لعلاج هذا المرض فلا يلبث أن يجد نفسه وقد حمل أمراضا أخرى غير مرضه الذي يعاني منه. ومن أخطار الدواء الكيميائي أيضا عدم جدوى العلاج في حالات مرضية كثيرة، ومنها الأمراض التي تُسمى مزمنة (**Chronical Diseases**)، مثل السكري، ضغط الدم وغيرها. ومن أخطار استعمال العقاقير الكيماوية كذلك ظهور الأمراض الوبائية الفتاكة (وقد يكون من بينها وباء كورونا)، وقد عزا بعض العلماء بعض هذه الأمراض إلى سوء استخدامنا للكيماويات بوجه عام ومنها الدواء. ومن أخطار استعمال الدواء الكيميائي تأثيره السلبي على مناعة الجسم في مقاومة الأمراض الأخرى. (محمد السيد، 2007، الصفحات 27-28)

ج. طب ذو بُعد واحد:

وهذه النظرة الضيقة هي نظرة معروفة لدى العلم المعاصر؛ أين ينظر إلى الوجود نظرة أحادية المركز، وهي النظرة المادية، في حين كان يجب النظر إلى هذا



الوجود نظرة كلية شاملة لما هو مادي وغير مادي، ومن ثم النظر إلى المرض والعلاج نظرة كلية شاملة.

د. طب ذو بعد واحد:

وهذه النظرة الضيقة هي نظرة معروفة لدى العلم المعاصر؛ أين ينظر إلى الوجود نظرة أحادية المركز، وهي النظرة المادية، في حين كان يجب النظر إلى هذا الوجود نظرة كلية شاملة لما هو مادي وغير مادي، ومن ثم النظر إلى المرض والعلاج نظرة كلية شاملة.

د. طب أيديولوجي

تُعرف الأيديولوجيا بأنها نقيض العلم الذي يبحث عن الحقيقة وإن كانت جزئية، ونقيض الفلسفة التي هي بالأساس ديناميكية فكرية نقدية. فالأيديولوجيا لا تبحث عن الحقيقة وترهب النقد، لأنّ هدفها الأول هو المصلحة والمنفعة الضيقة والسلطة، كما أشار إلى ذلك بالتفصيل "ماركس". وعموماً تعتبر الأيديولوجيا "تسقا من الأفكار والآراء والدوغمات المتناسقة إلى حد ما، والتي تعتبرها جماعة بشرية أو حزب كمقتضى من مقتضيات العقل (Paul & Raymond , 1962) لكن خلف تلك المقتضيات توجد أخرى هدفها تحقيق حاجات ومآرب الجماعة (دحدوح، 2006/2005، صفحة 103) ومن الطبيعي -وفقاً للتعريف السابق للأيديولوجيا- أن تتناقض مع العلم، لكن المفارقة تظهر حين نقول إنّ هناك "أيديولوجيا علمية"، فنكون كمن يجمع بين متناقضات. فما فحوى الأيديولوجيا العلمية؟

يرى فيلسوف البيولوجيا والطب جورج كانغيلام أن الأيديولوجيا العلمية هي "اعتقاد يُركّز اهتمامه على مجال يقع بمحاذاة علم ما مؤسس مُسبقاً، تعترف له بالأحقية وتسعى إلى محاكاته" (Georges , 1988, p. 36)

وهذا العلم الذي تستند إليه آيولوجيا الطب هو علم الطب الحديث، الذي حقق ولا يزال يحقق نتائج باهرة في ميدان التطبيب، ابتداء من التشخيص بالوسائل الحديثة، إلى العلاج السريري الناجع في كثير من الحالات، إلى ميدان البحث العلمي في ميدان الطب.

إن العلم والخطاب العلمي لا يمكنهما أن يتحررا نهائيا من السياق الأيولوجي السائد في مرحلة ما، لأنّ ذلك السياق هو الذي يتحكم في إمكان العلم والمعرفة العلمية (بحدوح، 2006/2005، صفحة 107) وهذا ما وقع فيه الطب الحديث؛ أين ادعى الأسبقية في كل ما يتعلق بصحة الإنسان، ابتداء من التشخيص إلى العلاج إلى البحث العلمي، ما أدى إلى سيطرة هذه المنظومة على ميدان التطبيب، وعدم ترك المجال لأي نقد أو محاولة لجهات خارج إطار المنظومة الطبية الحديثة؛ حيث حذرت منظمة الصحة العالمية من أي محاولة لعلاج وباء كورونا لا يستند إلى وصايا الطب الحديث.

2.2 الطب البديل

ساد في العُشريات الأخيرة (من سبعينيات القرن الماضي إلى اليوم) نوع جديد من العلاج، يُسمّى (الطب البديل)، في مقابل الطب الحديث، وقد انتشر انتشارا واسعا في الغرب وعلى الخصوص في الصين وأمريكا وكندا، ما أفرز ردود أفعال مختلفة حول هذا النوع الجديد من العلاج. فما هو هذا الطب البديل؟ وما هي أصوله ومنطلقاته؟ وما هي نتائجه على مستوى التشخيص والعلاج؟ وما هي ردود الأفعال حوله؟ وما هي أوجه التشابه وأوجه الاختلاف بينه وبين الطب الكيميائي الحديث؟.

1.2.2 مفهوم الطب البديل:

الطب البديل (Alternative Medicine): نوع من وسائل المعالجة التي لا تنتمي إلى الطب الحديث. ويمثل محصلة خبرات البشر وتجاربه في مجال الطب والاستشفاء. ومن أمثله المشهورة: الأعشاب الطبية، الطب الصيني، اليوغا، التنويم



المغناطيسي، المعالجة المثلية، الإبر الصينية، الحجامة، الدلك، الرياضة ... أو هو نوع من ممارسة التطبيب لا تقع في نطاق الطب التقليدي الحديث. وفي بعض الأحيان يقوم على أساس تاريخي أو تقاليد ثقافية، بدلا من الطب العلمي/ التقني/ الكيميائي، القائم على التحاليل والتشخيص والأدلة والبراهين ثم التجريب.

وهناك تسمية أخرى لمصطلح "الطب البديل"، وهي: "الطب المكمل"،

(Melina Ratini , 2023) أي الطب الذي لا يستقل بنفسه، وإنما هو طب مكمل

للطب الحديث، وهذه التسمية كانت نتيجة للاعتراض على مصطلح "الطب البديل"،

الذي من معانيه: استبدال طب جديد مختلف عن الطب الحديث، وهو نوع من محاولة الجمع بين طَبَّين مختلفين في المنطلقات والمناهج والنتائج، من أجل الحصول على إيجابياتهما معا، وهذا كله خدمة لصحة الإنسان والبشرية جمعاء.

والمفهوم الإجرائي للطب البديل في هذه الورقة لا يقتصر على المفهوم الغربي لهذا المصطلح؛ المعتمد أساسا على ما تنتجه الطبيعة من مواد طبيعية مادية فحسب، بل المقصود به: كل طب يسعى إلى علاج مختلف الأمراض، المادية وغير المادية على حد سواء، ولذلك فهو ليس طباً مادياً فحسب، بل هو طب مادي غير مادي معا. ويشمل ذلك كل التقاليد لمختلف شعوب العالم في ممارسة التطبيب، وكل المعتقدات والثقافات التي أدلتْ بدلوها في ميدان الطب، ويشمل ذلك: الرقية الشرعية عند المسلمين والتداوي بالقرآن والحجامة عندهم، إضافة إلى طرق العلاج الروحي المتمثل في الاستغفار والدعاء والتوبة والصدقة والصيام وغيرها، وكذلك تقاليد الشعوب الأخرى من مثل الإبر الصينية واليوغا وغيرها.

2.2.2 لماذا الطب البديل؟

أ- أصبح من الواضح في العشريات الأخيرة أن أغلب ما يُصاب به الإنسان من أمراض مستعصية على العلاج في وقتنا هذا يعود إلى أسباب منها:

• التلوث العام للبيئة (الهواء الذي نستنشق، والغذاء الذي نأكله، والماء الذي نشربه، بل وحتى الأدوية المصنعة التي نتداوى بها).

• ضعف الجهاز المناعي الذي يتأثر بدوره بالجو العام (من البيئة والغذاء والدواء). وكل هذا يعود إلى خروجنا عن فطرة الله في التعامل مع الطبيعة (رجم، 2014، صفحة 7) ، ومحاولة الإنسان السيطرة الجائرة عليها، تحقيقا لمزيد من الأرباح والرفاه المادي على حساب حق الطبيعة وحق الإنسان في العيش سليما من الأمراض.

• كثرة المعاصي والذنوب التي يقترفها بني البشر في آخر الزمن، فتكون هذه الأمراض والأوبئة عقابا ربانيا لعباده المتسببين وكذا الساكتين عن المنكر.

ب- إنّ الطب الحديث أو الطب الذي يعتمد المنهج العلمي التجريبي ليس هو السبيل الوحيد لاكتساب المعرفة، وإيجاد الحلول المختلفة لما يعانيه الإنسان ومنه المرض، بل إنّ هناك بدائل أخرى، وأنّ هذه البدائل قد تتجح عندما يفشل العلم (فيرابند، د.ت، صفحة 178) . وسوف يعترف العلم الحديث ومنه الطب الحديث بهذه البدائل الآمنة عندما تُحقق أكبر النتائج في مقابل قلة الأضرار من جهة، وعندما يلتحق بالطب الحديث باستعماله للوسائل التقنية والآلات الحديثة في التشخيص.

3.2.2 فوائد الطب البديل :

هناك العديد من المزايا التي تدفع الناس نحو الطب الطبيعي (البديل)، بدلا من استخدام الأدوية والوصفات الطبية. وقد أصبح أطباء الرعاية الصحية أكثر انفتاحا وتقبلا للطب البديل والفوائد التي يمكن أن يقدمها للإنسان، ومن مزايا الطب الطبيعي التي يتبنّاها المدافعون عنه: أنه يعالج السبب الفعلي للمرض، حيث يُشفي المسبب الرئيسي للألم، في حين يقوم الطب الحديث بعلاج الأعراض الناتجة عن المرض. أنه يُحسن نوعية حياة المريض وليس فقط تخفيف الألم. أنه يُعد أكثر أمانا، بسبب استخدام العلاج الطبيعي. أنه لا يُسبب آثارا جانبية خطيرة، فإن لم يكن نافعا فلا يكون ضارا. أن كلفة العلاج تُعد منخفضة مقارنة بالطب الحديث. (النسور، 2022)



3.2 الفرق بين الطبين الحديث والبديل :

- **الطب الحديث:** يتميز بالعمليات الجراحية واستخدام الأشعة والفحص المجهرى والبحث والتحليل في الكشف عن المرض أو العلة. أما الطب البديل: عرف باستخدام الأعشاب الطبيعية والأدوات التقليدية البدائية، وعلى خبرة الطبيب في كشف ومعرفة المرض.

- **الطب الحديث:** يتميز بدقة تصنيف ومعرفة نوع المرض عالية، لاستخدامه التكنولوجيا الحديثة. أما الطب البديل: يعتمد على خبرة الطبيب وحالة المريض أمامه.

- **الطب الحديث:** يستخدم بعض المواد الكيميائية وأشعة الليزر في علاج بعض الأمراض المزمنة، وهذا قد يتسبب بحدوث آثار جانبية. أما الطب البديل: في أخطر حالات الآثار الجانبية في العلاج تكون بسيطة، كالإسهال أو حالات التسمم البسيطة . (Becki , 2019)

4.2 وباء كورونا

1.4.2 تعريفه:

كوفيد -19 هو المرض الناجم عن فيروس كورونا المستجد، المسمى فيروس كورونا -سارس2، وقد اكتشفت المنظمة العالمية للصحة هذا الفيروس المستجد لأول مرة في 31 ديسمبر 2019، بعد الإبلاغ عن مجموعة من حالات الالتهاب الرئوي الفيروسي في "يوهان" بجمهورية الصين الشعبية. وفيروسات كورونا فصيلة واسعة الانتشار، معروفة بأنها تُسبب أمراضاً تتراوح من نزلات البرد الشائعة إلى الاعتلالات الأشد وطأة؛ مثل متلازمة الشرق الأوسط التنفسية (MERS) ومتلازمة الالتهاب



الرئوي الحاد الوخيم (SARS). يتمثل فيروس كورونا الجديد في سلالة جديدة من فيروس كورونا لم تُكتشف إصابة البشر بها سابقا. (المنظمة العالمية للصحة ، 2020)

2.4.2 أعراضه

تتمثل أعراض هذا الوباء في: الحمى، السعال الجاف، الإجهاد. وتتمثل الأعراض الأخرى الأقل شيوعا التي قد تصيب المرضى في: فقدان الشم والذوق، التهاب الملتحمة (المعروف أيضا بمسمى احمرار العينين)، ألم الحلق، آلام العضلات والمفاصل، الصداع، مختلف أنماط الطفح الجلدي، الغثيان أو القيء، الإسهال، الرعشة أو الدوخة. وعادة ما تكون الأعراض خفيفة، ويصاب بعض الأشخاص بالعدوى، ولكن لا تظهر عليهم إلا أعراض خفيفة للغاية أو لا تظهر عليهم أية أعراض بالمرّة. وتشمل العلامات التي تشير إلى كوفيد-19 الوخيم ما يأتي: ضيق النفس، انعدام الشهية، التخليط أو التشويش، الألم المستمر أو الشعور بالضغط على الصدر، ارتفاع درجة الحرارة (أكثر من 38 درجة مئوية). وتشمل الأعراض الأخرى الأقل شيوعا ما يأتي: سرعة التهيج، التخليط أو التشويش، انخفاض مستوى الوعي (الذي يرتبط أحيانا بالنوبات)، القلق، الاكتئاب، اضطرابات النوم، مضاعفات عصبية أشد وخامة وندرة مثل السكتات الدماغية والتهاب الدماغ والتهديان وتلف الأعصاب.

3.4.2 الفئات الأشد تعرّضا لمخاطر الإصابة بالمرض الوخيم الناجم عن كوفيد-

19:

تزداد مخاطر الإصابة بمضاعفات وخيمة بين الأشخاص البالغين 60 عاما أو أكثر من العمر، والأشخاص الذين يعانون من مشكلات صحية كامنة، مثل ارتفاع ضغط الدم أو مشكلات القلب والرئتين أو داء السكري أو السمنة أو السرطان. ومع ذلك فقد يصاب أي شخص بعدوى كوفيد-19، ويعاني من مضاعفات خطيرة أو يتوفى في أي عمر كان.



4.4.2 توصيات المنظمة للبلدان:

تشجع المنظمة جميع البلدان على تعزيز ترصد حالات العدوى التنفسية الحادة الوخيمة (SARI)، وتوخي الدقة في استعراض أي أنماط غير اعتيادية لهذه الحالات أو حالات الالتهاب الرئوي، وإبلاغ المنظمة بأي حالات إصابة بفيروس كورونا المستجد، سواء كانت هذه الحالات مؤكدة أم مشتبه بها. كما تشجع البلدان على مواصلة تعزيز تأهبها للطوارئ الصحية، وفقا للوائح الصحية الدولية للعام 2005.

3. أسباب وباء كورونا

1.3 الأسباب من منظور الطب الحديث:

لا يذهب الطب الحديث بعيدا في البحث عن الأسباب الأولى لحدوث الفيروس، خوفا من الوقوع في مطب الأسباب الماورائية، والخوض في مستنقع الميتافيزيقا. ولذا فهو يختصر هذه المسافة للعودة إلى أقرب الأسباب القريبة الظاهرة للعيان، وهي الأسباب المادية. وتقول مصادر متخصصة إنَّ الفيروس التاجي، المعروف باسم (covid-19)، أو كورونا-2 (سارس كوف2) (شركة السيفير، 2020) هو نوع من الفيروسات التي تسبب مرضا في الجهاز التنفسي. (ديسيمون، 2024) وفي تعريف الأمم المتحدة لفيروس كورونا تقول: "فيروس كورونا هي عائلة كبيرة من فيروسات الجهاز التنفسي، ويُسبب بعضها أمراضا أقل من غيرها. (هيئة الامم المتحدة ، 2020) ثم تذكر بعض التدابير الوقائية من الفيروس، دون الإشارة من قريب أو بعيد لأسباب المرض. وهنا نعيد طرح مشكلة اكتفاء الطب الحديث بالأعراض وتدابير الوقاية (بعد وقوع المرض لا قبله) والعلاج المادي الكيميائي بطبيعة الحال، دون البحث عن الأسباب الأولى للمرض، ما يعني بقاء المرض ساري المفعول، والتعامل مع المرض كأمر واقع لا مفر منه.

2.3 الأسباب من منظور الطب البديل:

1.2.3 الأسباب المادية:

إضافة إلى اعتراف الطب البديل بالأسباب المادية البحتة التي لفيروس كورونا، لا يُقصر بحثه في تلك الأسباب، بل يذهب بعيدا للبحث عن جذور المرض، من أجل استئصاله من أساسه. ومن بين الأسباب المادية التي تتبناها هذه الورقة:

أ- **أكل الخبائث:** يوصينا المولى تبارك وتعالى بالتزام الطيب من المطعوم، قائلا يوصي رسله وعباده من ورثتهم: "يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم" (المؤمنون/51). ومن بين أسباب وباء كورونا -كما يؤكد ذلك كثير من الباحثين- ما يتناوله بعض الناس من المأكولات الخبيثة المحرمة شرعا في ديننا، ومن هذه الخبائث: أكل بعض الطيور مثل الخفافيش، (مذاهب العلماء في أكل الخفاش، 2017) وأكل بعض الحيوانات الأليفة مثل القطط (ناهيك عن المعروفة التحريم)، وأكل الديدان والحشرات مثل البرغوث والخنفساء والذباب والبعوض والصراصير. (إبراهيم عبد الله، 2017) وأي مخالفة لأمر الله في أكل الطيبات سيكون عقابه أليما عند الله، قال تعالى: "فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" (النور/63). وهذا العذاب الأليم يتمثل جزء منه في العقاب الدنيوي بالأمراض والكروب والكوارث والابتلاءات المختلفة، وجزؤه الأكبر يكون في الآخرة. قال تعالى: "ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير" (الشورى/30)

ب- **التلوث العام للبيئة:** ومن مظاهره تلوث الهواء الذي نستنشق، والغذاء الذي نأكله، والماء الذي نشربه، والدواء الذي نستطب به، بل وتلوث التربة والمجاري المائية، التي تصب في الأنهار ثم في السدود ثم في البحار آخر المطاف. ولا شك أن للتلوث البيئي الأثر الكبير في التغيرات المناخية الرهيبة التي نشهد بدايتها منذ ثلث قرن إلى اليوم، ولا شك هذا قد أثر على الكائنات الحية من النبات والحيوان والإنسان.



وهذا كله من أسباب ظهور الأمراض العصرية التي لم تكن في أسلافنا، ومنها السرطان والأوبئة الكثيرة ومنها كورونا. والسبب الواضح في هذا التلوث هو الصناعات المختلفة، والتجارب النووية ومخلفات المركبات الصناعية من السيارات وغيرها. (علية ، 2014/2015، صفحة 20)

ج- التجارب المخبرية: لا شك أنّ لتدخل الإنسان في تصنيع مركبات كيميائية كثيرة، وخلق فيروسات جديدة، الأثر الكبير في انفلات الكثير منها عن قدرة الإنسان والتحكم فيها. ولا شك أن فيروس كورونا كان من بين أسبابه هذا التدخل السافر، وإن لم يكن عن سبق إصرار وترصد -كما تدّعي بعض الجهات- فعن طموح زائد للعلماء ومخاطر البحث، من أجل أهداف ظاهرها علمي وباطنها مصالح ضيقة . (هل كورونا المستجد مصنع مخبرياً؟ تقرير علمي يكشف الحقيقة، 2020)

2.2.3 الأسباب غير المادية (الفساد العام وكثرة المعاصي والذنوب)

يمتاز آخر الزمن بعموم الفساد، بل بعولمة الفساد؛ فلا تكاد تجد مكاناً آمناً منه. وقد دل على هذا آيات قرآنية وأحاديث نبوية منها: قوله تعالى: "ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون"، (الروم/41). إن كل ما يصيب الناس من البلاء والمحن من الأمراض والأوبئة والنكبات المختلفة إنما هو بسبب من الناس أنفسهم، ففي حديث أم المؤمنين زينب رضي الله عنها أنّ النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فرعاً يقول: "ويل للعرب من شر قد اقترب؛ فتُح اليوم من رَدَم ياجوج ومأجوج مثل هذه -وحلّق بأصبعه الإبهام والتي تليها- فقلت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كثُرَ الخَبْثُ" (الصابوني، 1986، الصفحات 36-37).

إن كثرة الخبث، وكثرة المعاصي والذنوب من بني آدم لهي من أكبر أسباب وقوع الأمراض والأوبئة التي لم تكن في من سبقنا. يقول الأمام ابن قيم الجوزية رحمه الله: "إن المعصية سبب في خبث النفس، إن النفس تخبث بالشهوات والمعاصي وتضعف، أعني النفس المطمئنة، وإن كانت أمارّة تقوى وتتأسّد، وكلما قويت هذه ضعفت تلك، وبالتالي تصبح الأمارّة هي المسيطرة، حتى إنّ العبد إذا وقع في شدة أو كرامة أو بليّة خانته قلبه ولسانه وجوارحه، فلا يجذب قلبه للتوكل على الله تعالى والإنابة إليه والتضرع والتذلل والانكسار بين يديه". (ابن قيم الجوزية، 2004، صفحة 115) وإذا لم يستطع المذنّب ذلك ضيّع سببا من أكبر الأسباب في تفريج الكرب واستجابة الدعاء.

4. الوقاية من وباء كورونا

1.4 الوقاية من منظور الطب الحديث:

تقتصر الوقاية من سائر الأمراض، ومن بينها مرض كورونا -من منظور الطب الحديث- على الجانب المادي، لطبيعة فلسفته المادية المعروفة، وقد قدم الطب الحديث بعضا من وسائل الوقاية من هذا المرض على النحو الآتي:

الحجر الصحي والعزل: يُعدّ العزل والحجر الصحي كلاهما من وسائل منع انتشار كوفيد-19. ويُستخدم الحجر الصحي لأي شخص مخالط لشخص مصاب بفيروس كورونا-سارس2، الذي يسبب مرض كوفيد-19، سواء أكان هذا الشخص المصاب لديه أعراض أم لا. والحجر الصحي يعني أن تبقى منفصلا عن الآخرين لأنك تعرضت للفيروس، وقد تكون مصابا به، ويمكن أن يكون الحجر في مرفق



معين أو في المنزل، وفيما يتعلق بكوفيد-19 يعني هذا البقاء في المرفق أو في المنزل لمدة 14 يوماً. ويُستخدم العزل للأشخاص المصابين بأعراض كوفيد-19، أو الذين جاءت نتيجة اختبارهم إيجابية. ويعني العزل أن تبقى منفصلاً عن الآخرين، ويُفضّل أن يكون ذلك في مرفق طبي يمكنك فيه الحصول على الرعاية السريرية، وإذا لم يكن العزل في مرفق طبي متاحاً لك، ولم تكن تنتمي إلى فئة مُعرّضة بشدة لمخاطر الإصابة بالمضاعفات الوخيمة للمرض، فيمكن أن يكون العزل في المنزل. وإذا كنت مصاباً بأعراض يجب أن تظل في العزل لمدة 10 أيام على الأقل، ولمدة 3 أيام إضافية بعد زوال الأعراض، وإذا كنت مصاباً بالعدوى ولم تظهر عليك أية أعراض فينبغي عليك البقاء في العزل لمدة 10 أيام بدءاً من تاريخ نتيجة الاختبار الإيجابية. (WHO Guidelines, 2014)

2.4 الوقاية من منظور الطب البديل:

بات معروفاً لدى جميع الأمم والشعوب أنّ "الوقاية خير من العلاج"، ويوصف الطب البديل بشكل عام بأنه طب وقائي بامتياز. لكن يختلف الطب البديل -كما تتبناه هذه الورقة- عن الطب الحديث من جهة، وعن الطب البديل -كما تتبناه المدرسة الغربية الحديثة من جهة أخرى؛ لأنه لا يقتصر على الجانب المادي من الوقاية فحسب، بل يشمل ما هو مادي وما هو غير مادي:

الوقاية الروحية: إن أهم شيء في الطب البديل هو الوقاية غير المادية، أو ما يمكن تسميته "بالوقاية الروحية"، وتتمثل هذه الوقاية في:

- الاعتماد والتوكل على الله تعالى والإيمان بالقضاء والقدر، والإيمان بأنه لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا.

- الدعاء والتضرّع للوقاية من البلاء، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "اسألوا الله العفو والعافية، فإنّ أحدا لم يُعطَ بعد اليقين خيرا من العافية" (الترمذي). وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه: "اللهم إني أعوذ بك من البرص والجنون والجذام، ومن سيّء الأسقام" (أبو داود)

- التوبة والاستغفار وردّ المظالم والحقوق إلى أهلها، قال الله تعالى: "وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله مُعذّبهم وهم يستغفرون" (الأنفال / 33). وقد ورد في الأثر أنه ما نزل بلاءٌ إلا بذنب، وما رُفِع إلا بتوبة.

- التحصين بالعبادة والأذكار المأثورة، منها ما روي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من قال باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء (ثلاث مرات) حين يمسي لم تُصِبْه فجأة حتى يصبح، ومن قالها حين يصبح (ثلاث مرات) لم تصبه فجأة حتى يُمسي" (أبو داود والترمذي)

الوقاية المادية: يصف الإمام ابن القيم رحمه الله قواعد التطبيب المادي من وجهة نظر إسلامية قائلاً: "إن قواعد طب الأبدان ثلاثة: حفظ الصحة، والحماية عن المؤذي، واستفراغ المواد الفاسدة". (ابن قيم الجوزية، 2004، صفحة 3) والمعنى أن أولى هذه القواعد هي مبدأ حفظ الصحة، أي حفظها من الاختلال بعد التوازن، ومن المرض بعد الصحة، وهذا هو معنى الوقاية، وهذا معنى كون فلسفة الطب البديل مبنية على الوقاية بالدرجة الأولى.

أ- الطهارة والنظافة:

يؤكد الأطباء والمختصون دور النظافة في الوقاية من مختلف الأمراض. ولا يخفى ما للطهارة والنظافة من أهمية في ديننا؛ فقد أمرنا الإسلام بها، وهي تشمل طهارة البدن والثوب والمكان والبيئة عموماً، وطهارة الأدوات والأواني المستعملة. وإنّ من أوائل ما نزل من القرآن: "وَيَا بَنِي إِدْرِيسَ اتَّبِعُوا مِلَّةَ آبَائِكُمْ فِي دِينِهِمْ حَقَّ مِثْلَ بِرِّهِمْ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُتَّقُونَ" (المائدة / 4)



ب- الحجر الصحي:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها" (البخاري ومسلم). وحرصاً من النبي صلى الله عليه وسلم على منع انتقال العدوى في الأوبئة قال: "فرّ من المجذوم فراراً من الأسد" (أحمد). ومن عظمة الإسلام ورحمته أن هذا الحجر الصحي يشمل الإنسان والحيوان، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يورد ممرض على مصح" (مسلم). قال ابن رجب في لطائف المعارف: "والممرض صاحب الإبل المريضة، والمصح: صاحب الإبل الصحيحة، والمراد النهي عن إيراد الإبل المريضة على الصحيحة." (الربابعة، 2020)

ج- دور الغذاء في الوقاية:

إضافة إلى الماء والهواء نحتاج إلى استهلاك الطعام بشكل ثابت ومنتظم، لكي نُؤمّن المصدر الرئيس للطاقة المستخدمة في الحركة والتنفس وتنظيم الحرارة وعمل القلب ودوران الدم والمقدرة العقلية. (إدجسون و ماربر، 2008، صفحة 41) وقد أكدت الدراسات العلمية الحديثة أن معظم جهاز المناعة في الأمعاء، ما يعني أهمية ما يدخل هذه الأمعاء من الغذاء. ومتى قُدر على استعمال الغذاء كدواء لاعتلال الجسم لا ينبغي المسارعة بالدواء، نظراً لاحتمال الأضرار، في مقابل مأمونية الغذاء. قال ابن القيم: "وقد اتفق الأطباء على أنه متى أمكن التداوي بالغذاء لا يُعدل عنه إلى الدواء، ومتى أمكن بالبسيط لا يُعدل عنه إلى المركب". (ابن قيم الجوزية، 2004، صفحة 8) لكن يُشترط أن تكون الأغذية صحية طبيعية، خالية من المركبات الكيميائية، وإلا عادت على الجسم والعقل والروح بالضرر الجسيم. وهذا ما أشار إليه

ابن القيم قَبْلًا بقوله: "والحمية عن المؤذي"، (ابن قيم الجوزية، 2004، صفحة 3) أي اتّباع نظام غذائي صحي، يحمي الجسم من المؤذي الداخل إلى الجسم عبر البلعوم.

تقوية جهاز المناعة والحفاظ عليه:

ربما كان جهاز المناعة الأكثر تعقيدا بين أجهزة الجسم كافة، ويَصْرِفُ هذا الجهازُ مُعْظَمَ وقته تقريبا في التعامل مع الجُسيمات الغازية التي يمكن أن تسبب الأذى للجسم. وفيما أنتم تقرأون هذه الكلمات يقوم على الأرجح جهازُكم المناعي بمحاربة جيش من العوامل المُمرضِة (كائنات حية مؤذية بالغة الصغر مثل الجراثيم والفيروسات). ولكن هل نفكر كثيرا في العناية بجهازنا المناعي؟ إنّ فهم كيفية عمل جهاز المناعة بشكل دقيق يساوي عمل حياة بأكملها، فمن المهم أن نفهم المبادئ الأساسية لكي نعرف كيف يمكن أن تساهم التغذيةُ وأسلوبُ الحياة في تقوية المناعة أو إعاقتها. (إدجسون و ماربر، 2008، صفحة 81)

5. العلاج من وباء كورونا

1.5 علاجه بالطب الحديث:

1.1.5 العلاج باللقاحات:

هل يوجد لقاح ضد فيروس كورونا المستجد؟ هذا السؤال طُرِحَ على المنظمة العالمية للصحة في بداية الوباء، فأجابت المنظمة بما يأتي:

عندما يظهر مرض جديد فلا يتوفر أي لقاح ما لم يتم تصنيعه أولاً. وقد يستغرق الأمر عدة سنوات قبل التوصل إلى تصنيع لقاح ضد الفيروس. وقالت: لا يوجد علاج محدد للمرض الذي يسببه فيروس كورونا المستجد، غير أنّ العديد من أعراضه يمكن معالجتها، وبالتالي يعتمد العلاج على الحالة السريرية للمريض. وقد تكون الرعاية الداعمة للأشخاص المصابين بالعدوى ناجعة للغاية. ثم قالت في موضع آخر: يعمل العلماء في شتى أنحاء العالم على إيجاد علاجات لكوفيد-19 وتطويرها.



وتشمل الرعاية الداعمة المثلى العلاج بالأكسجين للمرضى المصابين والمُعَرَّضين للإصابة بالمرض الوخيم، والدعم التنفسي المتقدم مثل التهوية للمرضى المصابين بالحالات الحرجة.

أما فيما يخص علاج الأشخاص لأنفسهم دون الرجوع إلى وصايا المنظمة العالمية للصحة، فنبهت قائلة: لا توصي المنظمة بالتطبيب الذاتي باستخدام أي أدوية، بما في ذلك المضادات الحيوية للوقاية من كوفيد-19 أو علاجه. وتعكف المنظمة على تنسيق الجهود الرامية إلى تطوير العلاجات المضادة لكوفيد-19، وستواصل تقديم المعلومات الجديدة كلما أُتيحت. لكن بعد مرور عدة أشهر من انتشار الوباء والمحاولات العديدة لإيجاد لقاح مناسب له (حوالي أكتوبر 2020)، أعلنت المنظمة عما يأتي: نعم، هناك ثلاثة لقاحات مضادة لكوفيد-19، أصدر بشأنها عدد من السلطات التنظيمية الوطنية تصريحاً باستعمالها. ولم يحصل أي منها حتى الآن (أوت 2020) على تصريح بموجب إجراءات إعداد قوائم اللقاحات المستعملة في حالات الطوارئ/الاختبار المسبق للصلاحيّة للمنظمة. ولكننا نتوقع [أي المنظمة] إجراء تقييم على لقاح "فايزر" بحلول نهاية ديسمبر 2020، وعلى عدد من اللقاحات الأخرى المرشحة بعد هذا المعد بقليل. وبمجرد أن تُثبت مأمونية وفعالية اللقاحات يجب أن تحصل على موافقة السلطات التنظيمية الوطنية، وتُصنّع وفقاً لمعايير صارمة، لتوزّع بعد ذلك. وتعمل المنظمة مع الشركاء في جميع أنحاء العالم للمساعدة على تنسيق الخطوات الرئيسية في هذه العملية، بما في ذلك تيسير إتاحة لقاحات كوفيد-19 المأمونة والفعالة، على نحو منصف لمليارات الأشخاص الذين سيحتاجون إليها.

وخلصت دراسة بريطانية إلى أنّ احتمالات الإصابة بفيروس كورونا تراجعت بشكل حاد بعد تلقي الجرعة الأولى من لقاح "استرازينيكا" أو "فايزر". كما أثبتت

اللقاحات فعالية مع الأشخاص الذي تزيد أعمارهم على 75 عاما، والذي يعانون من مشكلات صحية غير ظاهرة مقارنة بالآخرين. كما رصدت الدراسة التي قام بها مكتب الإحصاء الوطني وجامعة أكسفورد تشكّل استجابة قوية للأجسام المضادة في جميع الفئات العمرية مع استخدام اللقاحين (عربي بي بي سي ، 2021).

لكن السؤال يبقى هنا: ما موقع اللقاحات المخصصة للفيروس من السلالة الأولى في علاج الفيروس المتحوّر كل مرة؟

كشف الرئيس التنفيذي لشركة بايونتيك الألمانية يوم 2021/08/08 أن الجيل الأول من اللقاح الذي طوّره الشركة مع مختبرات "فايزر" الأمريكية فعّال ضد متحوّرات فيروس كورونا، مثل "دلتا"، ولا يحتاج إلى تعديل في الوقت الحاضر. وقال "أوغور شاهين": من المحتمل تماما أن تظهر متحوّرات جديدة خلال ستة أشهر إلى 12 شهرا وأن يتحتم تعديل اللقاح . هذا التصريح للرئيس التنفيذي للشركة السابقة فنّدته حالات وفيات لأشخاص تلقوا العلاج باللقاحات السابقة. فهذه بلجيكا تحصي سبع وفيات بدار المُسنّين إثر إصابتهم بالسلالة الكولومبية (المتحوّرة) لفيروس كورونا، رغم تلقيهم اللقاح. (فرانس24، 2021) وهنا نعيد طرح السؤال: ما مدى نجاعة هذه اللقاحات في ظل التحوّر المستمر للفيروس؟ ومن ثم: ما هي الفاتورة البشرية والمادية التي تُسددها الشعوب إثر تحوّر الفيروس، وإثر بيع الشركات المُصنّعة للدواء لكميات تُعد بالملايير من هذه اللقاحات المنتهية الصلاحية، أو الواقعة خارج حدود الفيروس المراد القضاء عليه؟

2.1.5 العلاج وفوضى اللقاحات:

بعد ظهور لقاحات كثيرة في الآونة الأخيرة، وسعي مختلف شركات صناعة الدواء إلى السبق في ميدان إيجاد اللقاح المناسب لوباء كورونا، تُطرح مشكلة كثرة هذه اللقاحات ومدى نجاعتها من جهة، ومدى خطرها على صحة المواطن في ظل تعارض وتداخل وفوضى اللقاحات من جهة أخرى. وقد حدّرت منظمة الصحة



العالمية من خلط اللقاحات، وقالت إنها خطوة خطيرة ولا تستند إلى أدلة مريحة. (أبو الرُّب ، 2021) وفي ظل غياب الدراسات الكاملة بشأن مأمونية اللقاحات عموماً، يبقى التلقيح بشكل عام غير مأمون من وجهة نظر علمية؛ لأن التجارب المُقامة إلى اليوم لم تحصل على اليقين المطلق، نتيجة عدم استقرار نجاعة الدواء على عَيِّنات مُطمَئنة من جهة، وعدم مرور مدة كافية -قد تُعد بالسنوات- للتأكد من نجاعة اللقاح ومأمونيته من جهة أخرى.

2.5 العلاج من منظور الطب البديل

يصف الإمام ابن القيم رحمه الله الطبيب الحقيقي الذي يعالج أصول المرض قائلاً: "فالتبيب هو الذي يُفرِّق ما يضرّ بالإنسان جمعه، أو يجمع ما يضرّه تفرُّقه، أو يُنقص منه ما يضره زيادته، أو يزيد فيه ما يضره نقصه، فيجلب الصحة المفقودة أو يحفظها بالشكل والشَّبه، ويدفع العلة الموجودة بالصد والنقيض، ويُخرجها أو يدفعها بما يمنع من حصولها بالحِمية. (ابن قيم الجوزية، 2004، الصفحات 7-8) وهنا تكتمل صفات الطبيب المعالج الحقيقي؛ من اهتمامه بمعرفة طرق التطبيب، ومعرفته بالضرار والنافع من الأدوية، ابتداءً من الحمية، إلى الدواء الطبيعي الخالي من الأضرار الجانبية. ويختص العلاج في الطب البديل -كما تتبناه هذه الورقة- على غرار الوقاية، بجمعه بين العلاج المادي وغير المادي:

1.2.5 العلاج المادي:

يمتاز العلاج بالطب البديل باهتمامه بعلاجه لأسباب المرض دون الاكتفاء بعلاج الأعراض، وفلسفة ذلك أن لا شيء يقع في الوجود دون سبب، وهذا معنى مبدأ السببية المعروف في المنطق وفلسفة العلوم. ثم إنّ الوقوف على السبب يؤدي إلى معرفة جذر المرض، ومتى عرف الجذر أتى عليه العلاج من أصوله، في حين نجد الاكتفاء بعلاج الأعراض (التي لا تنتهي) إنما هو علاج يكتفي بالسطح دون الغوص

في الأعماق، فيبقى المرض ساري المفعول، في حين ينهمك طبيب الأعراض في تسكين الآلام وإفقاد الجسم الإحساس بالألم، والمرض يتعمق في الجسد، خصوصا إن لم تكن له أعراض تكشفه. يقول الإمام ابن القيم عن مراحل التداوي: "وأمرض المادة أسبابها معها ثمؤها؛ وإذا كان سبب المرض معه، فالنظر في السبب ينبغي أن يقع أولاً، ثم في المرض ثانيا [العَرَض]، ثم في الدواء ثالثاً". (ابن قيم الجوزية، 2004، صفحة 7) ما يعني أن العلاج الحقيقي حتى يُؤتي أكله لا بد من محاولته اجتثاث المرض من أصوله، وهي أسبابه، فإذا عُرف السبب بطل العجب، وتبين نصف العلاج، وبقي النصف الآخر للدواء.

أ- العلاج بالأعشاب الطبيعية:

خصائص الأعشاب الطبيعية:

تتألف الأعشاب والنباتات الطبيعية من مواد مركبة غنية بالفيتامينات والأملاح المعدنية والمواد الطبيعية التي يستطيع الجسم امتصاصها بسهولة، وكذلك تحتوي على مواد ضرورية من العناصر غير المعدنية والعناصر شبه المعدنية مثل الأكسجين والكبريت واليود والآزوت والزرنيخ والفوسفور والسيليوم والكربون، علاوة على المعادن الضرورية مثل الكالسيوم والصوديوم والمغنيزيوم والحديد والكوبالت. وكثير من الأمراض المعروفة يرتبط ارتباطا وثيقا بنقص هذه المواد الضرورية. لذلك فإن تناول النباتات بصورتها الطبيعية يُعد وسيلة مثلى لتجنب الجسم أي نقص، لأنها تحتوي على كل هذه المواد بصورة متزنة، علاوة على وجود المواد الملونة التي هي مواد مضادة للأكسدة ومقاومة حتى للسرطان ومنشطة للجهاز المناعي وقاتلة للبكتيريا والفطريات والفيروسات. (محمد السيد، 2007، صفحة 201)



النباتات الطبيعية تزيد من مقاومة الجسم وجهاز المناعة:

يوصف الجسم بأنه صحيح عندما تتزن جميع وظائفه الحيوية، وهو الوضع الذي يعمل فيه جميع أعضاء الجسم على النحو الطبيعي، وكذلك يعرف الجسم على أنه مريض عندما يعترضه تغيير يُخلّ بهذا التوازن، وعلاج الأمراض دائماً يكون من خلال العمل على الحفاظ على هذا التوازن وإعادته إن فُقد، وكذا مقاومة الآثار والأعراض الجانبية الناتجة عن المرض ومحاولة ردها إلى الحالة الطبيعية. وعندما يقوم الجسم بمقاومة الأمراض فإنه يفقد بعضاً من المواد الأساسية به، التي لا بد أن تعاد إلى محتواها الطبيعي عند العلاج. هذا، ويمكن للنبات أن يقوّي الجسم عن طريق تغذيته بمثل هذه المواد الأساسية أثناء العلاج، وذلك بفضل احتوائه طبيعياً على هذه المواد (محمد السيد، 2007، الصفحات 201-202).

ب- الصيام ودوره في تجديد جهاز المناعة:

الصيام في الإسلام ليس مجرد عبادة فحسب، بل علاجٌ لبعض من الأمراض ووقايةٌ من أمراض أخرى كثيرة. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "صوموا تصحّوا". قال محمد رشيد رضا في تفسير المنار: "ومن فوائد الصحة أنه يُفني المواد الراسبة في البدن ولا سيما أبدان المُتْرِفين أُولي النّهم وقليلي العمل، ويُخفف الرطوبات الضارة، ويُطهر الأمعاء من فساد الدّرَب والسموم التي تُحدثها البِطْنَة، ويُذيب الشحم أو يَحُول دون كثرته في الجوف وهي شديدة الخطر على القلب، فهو كتضمير الخيل الذي يزيدها قوة على الكرّ والفرّ" (الصوّاف، 1978، الصفحات 23-24).

5. 2. 2 العلاج الروحي:

أمر الإسلام عموماً بضرورة التداوي والتطبيب من مختلف الأمراض والأوبئة، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاءً" (متفق عليه)، وقال: "تداووا عباد الله، فإنّ الله لم يضع داءً إلا وضع معه شفاءً إلا الهرم" (ابن

ماجه). لكن هذا العلاج -كما تتبناه هذه الورقة- مفهومه واسع، لا يقتصر على العلاج المادي الجسدي (علاج بالأدوية الكيميائية، علاج بمنتجات الطبيعة، علاج بالصيام...) وإنما يمتد إلى كل أصناف العلاج غير المادي من العلاج الروحي، ومن أمثلته الدعاء والاستغفار والتوبة وغيرها. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من لَزِمَ الاستغفارَ جعل الله له من كل ضيق مخرجاً، ومن همٍّ فرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب". يقول ابن القيم: "من الأدوية التي تشفي من الأمراض ما لم يَهْتَدِ إليها عقول أكابر الأطباء ولم تصل إليها علومهم وتجربتهم وأقيستهم، من الأدوية القلبية والروحانية، وقوة القلب، واعتماده على الله، والتوكل عليه، والالتجاء إليه، والانطراح والانكسار بين يديه، والتذلل له، والصدقة والدعاء والتوبة والاستغفار، والإحسان إلى الخلق وإغاثة الملهوف والتفريج عن الكرب، فإن هذا الأدوية قد جَرَّبَتْهَا الأُمَمُ على اختلاف أديانها ومللها، فوجدوا لها من التأثير في الشفاء ما لا يصل إليه علمُ أعلم الأطباء ولا تجربته ولا قياسه". (ابن قيم الجوزية، 2004، صفحة 10) وسبب عدم اهتداء كبار الأطباء المُحدثين إلى هذه الأدوية الشافية هو عدم إيمانهم بغير المادة، لأن الطب الذي يزعم العلمية إنما هو طب يعمل مع المادي المحسوس، ويُنكر كلَّ ما عدا ذلك ويَعُدُّه من التفكير الميتافيزيقي الخرافي، الذي يجب أن يُخرج من إطار العلم أولاً ومن إطار الطب ثانياً، وهذا من أكبر سيئات الطب الحديث؛ الذي يُنكر كلَّ إحالة إلى ما وراء الطبيعة، مُتَشَبِّهاً بما هو قريب من الحواس. كما أنَّ الصدقة في ديننا من بين أسباب العلاج من مختلف الأمراض، ودليل ذلك حديث: "حصَّنوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصدقة، واستقبلوا أمواج البلاء بالدعاء والتضرع".

6. خاتمة:

ظهر من خلال هذه الورقة أنَّ الطب الحديث يساير الأزمة، وفي أحسن الأحوال يُسيِّرها، دون أن يتمكن من حلِّها، ما يجعل المرض قائماً، والمريض متألماً، وفي أحسن الأحوال متعايشاً مع المرض، باستعمال المركبات الكيماوية مدى الحياة.



وهذا ما يجعلنا نؤكد هشاشة المنظومة الصحية الحديثة، ومن ورائها جشع الشركات الكبرى في صناعة الدواء والعقاقير الكيماوية، وبقاء صحة الإنسان الجسدية والنفسية والعقلية والروحية التحدي الأكبر الذي تواجهه المنظومة الصحية اليوم.

الطب الحديث طب يعتمد العلاج أكثر من اعتماده الوقاية، وذلك لعدة أسباب من بينها: تجنّب البحث المستمر في الأسباب، لأنّ ذلك يؤدي -من وجهة نظره- إلى الدخول في متاهات الأسباب الأولى، أو الدخول في خرافة الميتافيزيقا. حتى وإن تمكن الطب الحديث من معرفة أسباب كثير من الأمراض، إلا أنه لا ينصح بتجنّبها؛ نظرا لصعوبة تجنّبها من جهة، أو اعتبار هذه النصائح خارج مجال تخصصه.

إنّ اعتماد المريض على الوقاية يُنقص من تردده على المصحات ودور العلاج، وهذا ما يُنقص المداخل الرهيبة التي يجنيها الطبيب ومن كان وراءه من شركات الدواء ومخابر البحث العلمي. قد يكون من بين أسباب اعتماد العلاج في الطب الحديث، التجريب على الإنسان في أهم رأس مال له، وهو صحته، وهذا يُسهم في تطوّر البحث في ميدان الكائن الحي، وهذا جانب إيجابي، لكن الجانب السلبي أن يُترك الإنسان فأر تجارب، ونهباً للفضول الزائد للخبراء، والطمع المتزايد للربح، وفي كثير من الأحيان يفقد الإنسان حياته خدمة للبحث العلمي كما يزعمون.

اعتماد الطب الحديث على العقاقير الكيماوية، دون اعتماده على الأعشاب الطبية، وهذه آيدولوجيا وليست علما مبنيا على المنهج التجريبي؛ ذلك أنّ كثيرا من التجارب أكّدت فعالية ونجاعة التداوي الطبيعي، وهنا تُطرح مسألة من وراء هذه الأيدولوجيا؟ وأغلب الظن أنها إمبراطوريات شركات صناعة الدواء، التي تحصد من الأرباح ما يعادل أو يفوق ما تحصده شركات صناعة الأسلحة. والأكثر من ذلك تحذير كثير من هيئات الصحة وكبار المتخصصين من تجريب الدواء الطبيعي، بحجة جهل كثير من الناس بذلك، وبحجة أن هذا العلاج ليس علما مبنيا

على التجربة، أو أنّ الجهات الرسمية لم تُرَخَّص بذلك. لكن في المقابل نجد كثيرا من شركات صناعة الدواء تعتمد على كثير من الأعشاب الطبية في صناعتها للدواء، ولكنها تريد احتكار صناعة الدواء دون غيرها.

الطب البديل واحد من المنظومات العصرية في التداوي، وقد أثبت وجوده على مستوى الفعل، وعلى مستوى النجاعة في تجارب لا تحصى، بقي الاعتراف به من قبل الطب الحديث، وبقي على الطب البديل أن يُثبت وجوده أكثر، باستفادته من نتائج العلوم المعاصرة. وهو لا يدّعي الأفضلية في الميدان، لكنه يزعم أصالته ونجاعته وسلامته من الأخطار الجانبية، والمتداوي بالطب البديل إن لم يجد ربحا فليس بخاسر.

يمكن للإنسانيات -ومنها الفلسفة- أن تُسهم في فهم أكثر للعالم الذي نعيش فيه، وللأوضاع والتحديات التي تصادفنا، في حدود المجال الذي تبحث فيه، دون ادّعاء الصواب المطلق، ودون الوقوع في الذي تنهى عنه الفلسفة، وهو الأيديولوجيا بمعناها الفج .

توصيات الورقة:

- ✓ ضرورة التعرف عن قرب على كل من الطيّين الحديث، والطب البديل، مزيدا في الفضول العلمي، والاكتشاف المفعم بالفائدة والمتعة.
- ✓ كشف القناع عن العلاقة بين الطيّين، وإمكانية الاستفادة منهما معا، وإلا كان الاقتصار على واحد منهما إذا كان الآخر لا يُجدي نفعاً، أو بالأحرى لا يُجدي سوى الأضرار الواقعة أو المتوقعة.
- ✓ فسح المجال أمام العقل البشري الخلاق في استغلال كل الفرص للعلاج، وعدم الاقتصار فقط على نوع واحد من التطبيق يزعم لنفسه العلمية والنجاعة.



✓ التنبيه إلى خطورة الاقتصار على الطب الكيميائي، ومحاولة التنبيه إلى نوع آخر من العلاج يمكن أن يكون البديل الأمثل لما تعانيه البشرية اليوم، أو على الأقل أن يكون المكمل الأمثل للطب الكيميائي.

✓ ضرورة التخفيف من آلام البشرية النفسية والمادية، بفضل استخدام طب طبيعي أقرب إلى الطبيعة، وأخرى بالنجاعة والفائدة، وفي المقابل يُعد - مبدئياً - الأقل تكلفة من الناحية المادية، والأقل إجرائية كما هو الحال في إجراءات الطب الحديث، من مؤسسات استشفائية وإدارية، أقل ما يقال عنها إنها تمثل ديكتاتورية طبية.

✓ المساهمة في حفظ صحة الإنسان القَلِق من طرائق الطب الكيميائي، ونشر الوعي بضرورة العودة إلى الطبيعة في غذائنا وعلاجنا ونمط عيشنا.

✓ توسيع مفهوم الطب البديل، حتى لا يقتصر على ما هو مادي محسوس فقط من منتجات الطبيعة، وإنما يشمل كذلك كل علاج غير مادي من مثل: العلاج بالدعاء والاستغفار والرقية الشرعية والصدقة وغيرها.

✓ ضرورة التكامل بين الطبين الحديث والبديل؛ حيث أثبت كل واحد منهما نجاعته في ميدان ما؛ فالطب الحديث نجح في التشخيص، والطب البديل نجح في العلاج بأقل الأضرار.

✓ لا بد من الاستمرار في التطبيب بالطب الحديث في حال عدم وجود بديل طبيعي، وهذا كله سعي نحو فعل الأسباب الممكنة، واعتماد نظرية أخف الأضرار، إلى أن نجد الطب البديل، والأمر نفسه ينسحب على الطب البديل؛ فيجب العمل به في حال عدم وجود الطب الحديث، اعتماداً على النظرية السابقة..

7. قائمة المراجع:

باللغة العربية

1. ابن قيم الجوزية. (2004). *الداء والدواء*. بيروت: المكتبة العصرية.
2. أسامة أبو الرّب . (30 01, 2021). *الفروق بين لقاحات كورونا في جدول واحد*. تاريخ الاسترداد 11 08, 2021، من الجزيرة صحة: <https://www.aljazeera.net/health/2021/1/30>
3. المزروعي إبراهيم عبد الله . (23 11, 2017). *أحكام الحيوانات: مايجوز أكله وما لا يجوز أكله*. تاريخ الاسترداد 23 08, 2021، من شبكة بينونة للعلوم الشرعية: baynoona.net/ar/article/387
4. المنظمة العالمية للصحة . (2020). *تقرير عن وباء كوفيد -19*.
5. بول فيرابند. (د.ت). *ثلاث محاورات في المعرفة*. (محمد أحمد السيد، المترجمون) الإسكندرية: منشأة المعارف.
6. حسين رجم. (2014). *الموسوعة الجامعة لعلاج الأمراض الشائعة، ضمن سلسلة: منابع وأصول الطب النبيل (الإصدار 2)*. قسنطينة: نوميدي للطباعة والنشر والتوزيع.
7. حسين بشوظ . (17 12, 2017). *آفات الطب الحديث*. تاريخ الاسترداد 09 08, 2021، من منظمة المجتمع العلمي العربي: <https://arsco.org/article-detail-1009-8-0>
8. دانيال ديسيمون. (18 02, 2024). *فيروس كورونا: ماهو وكيف يمكنني وقاية نفسي منه؟* تاريخ الاسترداد 27 02, 2024، من مايو كلينيك: [Mayoclinic.org/ar:diseases-conditions coronavirus/expert-answers/novel-coronavirus/faq-20478727](https://www.mayoclinic.org/ar:diseases-conditions/coronavirus/expert-answers/novel-coronavirus/faq-20478727)
9. رسيل النصور . (20 05, 2022). *أنواع الطب النبيل وفوائده*. تاريخ الاسترداد 11 08, 2023، من الطبي: <https://shorturl.at/czL39>
10. رشيد دحدوح. (2006/2005). *تاريخ وفلسفة العلوم البيولوجية والطبية عند جورج كانغيلهم . أطروحة دكتوراه علوم في الفلسفة . جامعة قسنطينة : غير منشورة*.
11. شركة السيفير . (15 مارس, 2020). *عدوى فيروس كورونا المستجد*. تاريخ الاسترداد 21 08, 2021، من elsevier:



<https://assets.ctfassets.net/zlnfxb2lcqx/iznl58NudF04u8IC9a5SF/2e88afaf61cc7d678dd7f474dec5fb04/patient-education-arabic.pdf>

12. عبد الباسط محمد السيد. (2007). السرطان: أسبابه وعلاجه من القديم والحديث. (1)، (المحرر) الجيزة، مصر: شركة مكتبة ألفا للتجارة والتوزيع.

13. عربي بي بي سي . (23 04, 2021). فيروس كورونا: جرعة واحدة من لقاح أسترازينيكا أو فايزر "تقلل خطر الإصابة عند جميع الفئات العمرية". تاريخ الاسترداد 11 08, 2021، من <https://www.bbc.com/arabic/science-and-tech-56854936>

14. فادي الربابعة. (13 07, 2020). سبل الوقاية والعلاج من الأوبئة. تاريخ الاسترداد 20 08, 2021، من <https://www.aliftaa.jo/Article.aspx?ArticleId=3482>

15. فرانس 24. (09 08, 2021). هل يحتاج لقاح فايزر-بايونتيك إلى تعديل لمواجهة متحورات فيروس كورونا؟ تاريخ الاسترداد 21 08, 2021، من Fance24.com/ar/20210809

16. فيكي إدجسون، و آيان ماربر. (2008). غذاؤك ... طبيبك: الأغذية الشافية للعقل والجسم. بيروت: أكاديميا إنترناشيونال.

17. محمد علي الصابوني. (1986). من كنوز السنة: دراسات أدبية ولغوية من الحديث الشريف (الإصدار 2). قسنطينة، الجزائر: مكتبة رحاب.

18. محمد محمود الصوّاف. (1978). الصيام في الإسلام (الإصدار 5). قسنطينة، الجزائر: مكتبة رحاب.

19. مذاهب العلماء في أكل الخفاش. (07 01, 2017). تاريخ الاسترداد 21 08, 2021، من إسلام واب: islamweb.net/ar/fatwa/103303

20. هاجر عليّة . (2015/2014). دور المنظمات الدولية غير الحكومية في تحقيق المن البيئي: منظمة السلام الأخضر نموذجا. مذكّرة ماستر . قسم العلوم السياسية، جامعة مسيلة: غير منشورة.

21. هل كورونا المستجد مصنّع مخبريا؟ تقرير علمي يكشف الحقيقة. (18 03, 2020). تاريخ الاسترداد 24 08, 2021، من موقع الحرة: alhurra.com



22. هيئة الأمم المتحدة . (17 09, 2020). *مرض فيروس كورونا* . تاريخ الاسترداد 21 08,

2021، من [Un.org/ar/coronavirus/info-for-un-staff](https://www.un.org/ar/coronavirus/info-for-un-staff)

باللغات الأجنبية:

23. Becki , L. (2019, January 18). *Alternative Therapies: Benefits and Risks*. Retrieved 08 11, 2021, from Fix.com: <https://www.fix.com/blog/alternative-therapies/>
24. Melina Ratini , D. (2023, September 15). *What Exactly Is Alternative Medicine?* Retrieved January 10, 2024, from WebMD: <https://www.webmd.com/balance/what-is-alternative-medicine>
25. WHO Guidelines. (2014, April 07). *Infection prevention and control of epidemic-and pandemic prone acute respiratory infections in health care*. Retrieved 08 07, 2021, from World Health Organization: https://iris.who.int/bitstream/handle/10665/112656/9789241507134_eng.pdf?sequence=1
26. Georges , C. (1988). *Idéologie et Rationalité dans : l'Histoire des Sciences de la Vie* (éd. 1ère). Paris: nouvelles études d'Histoire et de Philosophie des Sciences.
27. Paul , F., & Raymond , S.-J. (1962). *Dictionnaire de la langue Philosophique*. Paris: PUF.